قصص القرءان:

أساطير الأولين أم أمثال للعالمين؟

تاريخ أم رموز ؟

1هل القرءان كتاب تاريخ أم كتاب امثال؟

اني أعلم أن علماء الكتاب سيرون هذا التساؤل لا يحتاج الى بحث و جدال أصلا. اذ من الامور الأولية التي يكشفها كتاب الله انه كتاب أمثال. و لا يمكن أصلا أن يكون تاريخ. بل يطرد الذين يقولون أنه اساطير الأولين من حضرته. و لأن الغالبية من الناس-الا قلة لا تذكر و لا تظهر- يقولون و يعملون على أساس أن القرءان كتاب تاريخ, أي يصف حوادث تاريخية مثل ما تفعل كتب التاريخ المعروفة (و ان كان القرءان له اسلوبه الخاص في عرض الحوادث التاريخية- كما يقولون) , و بما ان هذه الفكرة من اهم اسباب هجر القرءان الحقيقي و التكاسل عن دراسته و بناء الحياة على أساسه, فاني مضطر أن أجيب عن هذا التساؤل ببحث كامل. فتعالوا ننظر.

أولا , لكي يكون الكتاب , أي كتاب, كتاب تاريخ فيجب أولا و قبل كل شئ أن يقدم نفسه على هذا الاساس. فهل يوجد اية في القرءان تقول بأن هذا القرءان يصف حوادث تاريخية بالمعنى المشهور؟ لا يوجد على الاطلاق. و حتى ايات مثل قوله "ذلك من انباء الغيب نقصه عليك" أو "من قبلك" لا تدل على المطلوب. اذ القبل و البعد يقع على الاطوار, مثلا طور النطفة قبل العلقة, و أيضا النظرة الى "القبل" على انه تاريخي أرضي جسماني مبني على أساس الاجابة عن هذاالتساؤل, و قبل ثبوت الاجابة لا يصح أن يبنى عليها شئ. ثم ان هذه الايات تقول "أنباء الغيب"! و على أية حال فانه اذا دخل الاحتمال بطل أو ضعف الاستدلال. و لو نظرنا بعمق و مقارنة شاملة فسنرى ان القرءان يقدم نفسه على انه أمثال كالرؤيا, فالقرءان رؤيا الله كما فصلنا في كتب أخرى.

ثانيا, اذا نظرنا في كتب التاريخ فسنرى أنها يجب ان تحتوي على أربعة امور على الأقل لكي يكون الكتاب كتاب تاريخي محترم, بل و غير المحترم كذلك, و هي هذه: وجود تواريخ, الحديث المادي الذي يحدد المواقع و الأسماء بدقة و الاعمال و الاعمار لكل من يذكرهم من المهمين على الأقل, دقة النقل عن الناس, و موافقة المؤرخين الاخرين خاصة السابقين و في الأمور المهمة البارزة على الاقل.

و اي نقص في واحد من هذه العناصر الأربعة تجعل الكتاب يخرج من دائرة التاريخ, أو من دائرة التاريخ الموثوق المحترم. فمثلا لو جاء كتاب و ذكر حوادث يفترض انها مهمة و لم يذكر تأريخ حدوثها بالسنة و الشهر و اليوم أو بالسنة على الأقل, فهذا يجلب الشك في هذا النقل اذ ما أدرانا انها وقعت أصلا و ما السبيل الى التحقق من صدقها. فاذا ذكر القرءان حادثة يفترض انها تاريخية فيجب ان يكون ثمة معيار للتحقق من صدق هذا النبأ, اذ لو كان كاذبا لكان القرءان باطلا اذ الله لا يكذب, و اذا كان تاريخا فلا يوجد أصلا طريقة للتأكد من النبأ الا بأن يحيلنا الله على كتب مؤرخين اخرين و هو ما لم يحدث, و لو قيل أن الله احالنا على كتاب العبرانيين و الصليبيين المقدس لكان القرءان أيضا باطل لأنه يخالفهم في مواضع كثيرة جدا في الكبائر و الصغائر و حتى اللمم! فتكون انباء القرءان عن الحوادث التاريخية هي من الامور التي لا برهان عليها أصلا, فاذا قال الكفار للنبي " ألم يقل لك ربك أن تطالبنا بالبرهان لاثبات صدق كلامنا ؟ هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين, حسنا فأتنا أنت ببرهان على صدق هذه الانباء ان كنت من الصادقين" و عندها سيسقط في يد النبي و اتباع النبي. اذ لا يوجد برهان موضوعي على

صدق الانباء القرءانية اذا اعتبرت تاريخية. و مثلا, لو جاء كتاب و قال أن واقعة التفجير التي حدثت في 11 سبتمبر وقعت في افريقيا الجنوبية بدل نيويورك كما هو معلوم فهذا يفقد الكتاب مصداقيته أو احترامه على اقل تقدير. و مثلا لو نقل كتاب على لسان شخص بسيط كلاما بليغا فهذا يجلب الشك أيضا. و هكذا. فتعالوا نرى كم من هذه عناصر المهمة الاربعة يوجد في قصص القرءان الكريم.

1 "التأريخ" لو شئنا الاختصار العلمي القاطع لكفانا أن نفتح القرءان فنرى أنه لا يذكر و لا تاريخ واحد لحادثة واحدة مما يقصه. فاذن لا يمكن ان يعتبر كتاب تاريخ. نعم ان المسألة بهذه البساطة و الوضوح. و لكن عندما نكون ننقد عقائد يأجوج و مأجوج فاننا نضطر احيانا أن نشعل الشموع في حضور الشمس لعلهم يرون حقيقة الأشياء.

ساستعمل للمقارنة و توضيح الواضحات كتاب العبرانيين المقدس و الصليبيين. اي الذين يسمون زورا باليهود و النصارى. فهذا الكتاب من المفترض انه كتاب تاريخي يثبت وقائع جسمانية أرضية وقعت في عصور قديمة. و أينما نظرت فيه فستجد تواريخ, و ليس فقط تواريخ عامة بل أحيانا تكون مفصلة بالسنة و الشهر و اليوم كذلك. فمثلا في بداية سفر حزقيال النبي العبراني نراه يفتتح بقوله "في سنة كذا, في شهر كذا, في يوم كذا جاءت الي كلمة الرب و انا في موضع كذا" و هكذا اذا ذكر خروج العبرانيين من مصر يذكر أيضا تواريخ, و في كل حادثة مهمة و أحيانا غير مهمة يذكر تواريخ.

فلو قيل مثلا أن ابراهيم هو رجل واحد تاريخي و القرءان ينقل قصته كما يتقل المؤرخين قصص نابليون او كارل ماركس, فاذن يجب أن يذكر القرءان الزمن الذي وقعت فيه هذه القصة. فنحن نعرف مثلا أن نابليون الأول عاش في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي حتى اوائل عقد العشرينات من القرن التاسع عشر, و ان معركة واترلو الشهيرة وقعت في سنة 1815 للميلاد في شهر يونيو, و أنه نفي الى جزيرة القديسة هيلانة المستعمرة البريطانية و غير ذلك من تفاصيل تاريخية مهمة. و كذلك نعرف أن كارل ماركس كتب البيان الشيوعي في منتصف القرن التاسع عشر و غير ذلك من تفاصيل تاريخية مهمة. و لكن اذا جاء رجل و قال أن ابراهيم هذا الذي يذكره القرءان كان في سنة 10 الاف قبل الميلاد, و كان يعيش في مثلث برمودا في اخر حياته, و انه كان قزما يمارس السيرك و البهلوان في شبابه, و انه كان يستمتع بلبس ملابس النساء, اترى اننا نستطيع أن نرد عليه قرءانيا ؟ و كذلك كل انسان يستطيع ان يختلق ما يشاء, و لن يستطيع كتاب الله أن يحكم بيننا. هذا يقول و هذا يقول. و على ذلك فالقرءان ناقص, بل في اخر درجات النقص من حيث كتابة التاريخ, لانه لم يحوي أبسط قواعد علم التاريخ و هو "التأريخ"!!

فهذا المعيار الأول لا يوجد له أثر في كل القرءان. و معلوم ان اي كتاب لكي يستطيع أن يضع تواريخ للاحداث التي يثبتها يجب أن يقرر قبل ذلك ما نوع النظام التاريخي الذي سيستعمله, كالنظام الميلادي او النظام العبراني او النظام الهجري و ما شابه, أو يبتدع لنفسه نظاما ان شاء. و معلوم للكل أن القرءان لم يقرر أي نظام من هذه الانظمة (على الاقل لم يستنبط احد مثل هذا النظام من القرءان, اللهم الا قبل بضع سنوات اطلعت على دراسة

حول هذه المسألة و لكن لا نريد ان نذكر هذا الان فله موضعه), و ما النظام الهجري الاسلامي الا ابتكار في عصر عمر بن الخطاب بمشورة علي ابن ابي طالب و غيره كما نقل في "كتب التاريخ"!

فكون القرءان كتاب تاريخ مرفوض جملة و تفصيلا. و مجرد كون القرءان كامل و مفصل تفصيلا يدل على انه يستحيل ان يحيلنا الى كتب اخرى لمعرفة أمور لم يقوى هو على ذكرها-لا سمح الله.

2 "حديث مادي, يحدد المواقع و الأسماء و الأعمار"

القرءان حديث باطني كالرؤيا. و طريقة تعبيره عن القصص تنفي كون هذه القصص حوادث كالتي نعرفها في الحياة الأرضية. و التاريخ مادي بطبيعته. فعندما يقول القرءان أن الاف الملائكة نزلوا ليحاربوا مع المؤمنين في احدى المعارك, أو ان أعمى جاء في سورة عبس, او ان العبد الصالح قتل غلاما في سورة الكهف, أو غير ذلك كثير, يدل بما لا يدع مجالا للشك على أن القرءان لا يتكلم بحديث مادي ككتب التاريخ.

و المواقع, اذا قارنا مع كتاب العبرانيين فسنرى أن كتابهم يذكر الارض بالحدود الجغرافية بالتفصيل في القصص التي يدونها. و الأسماء فسنرى أنه اذا ذكر أشخاص خاصة المهمين البارزين فانه يذكر انه فلان ابن فلان ابن فلان ابن فلانية اخت فلان الذي كان يسكن في بلدة كذا في عصر فلان. اما القرءان فيقول "يوسف" و "محمد" و "زيد" و "فرعون" فقط. و كذلك في الاعمار يذكر كتاب العبرانيين الاحصائيات بدقة لكل الشعب, كم عددهم, و أعمارهم كانت بين كم و كم, و فلان توفي و عمره121 سنة, و فلان توفي و عمره 77 سنة, و فلان سافر عندما كان في عصر فلان بن فلان و عمره كان 23 سنة و ما اشبه. و هكذا كل شئ تاريخي يذكر بالتفصيل التاريخي المفترض. أما القرءان فلا يذكر مثل هذا. يقول "مصر" و "قرية" و "مدينة" و "بلدة" و كفى. ففي قصة يوسف يقول "و قال نسوة في المدينة" و في قصة محمد يقول "و من اهل المدينة مردوا على النفاق" و في قصة موسى "فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها". اي مدينة؟ أين؟ ما أسمها و موقعها الجغرافية في الأرض المادية؟ كل هذا لا يبالي به, بل ليس من شأنه أصلا. و لا أريد أن ابين هنا سر عدم اعتبار القرءان للقصص التاريخية بالمعنى الأرضي, و انما أريد أن ابين أنه ليس بتاريخ. اما لماذا؟ فهذا له موضع اخر ان شاء الله. نرجع الى تحليلنا. و الاعمار مثلا, فالقرءان لا يقول كم كان عمر سليمان عندما توفي, أو عمر يعقوب عندما توفي, أو تأريخ حنين و تأريخ طوفان نوح و لا شئ. و هذه من الأوليات في أي كتاب تاريخ.

3 "دقة النقل عن الناس"

في الكلام, اذا نظرنا الى الكلام المنقول عن فرعون مثلا فيجب بناء عليه أن يكون فرعون شاعرا بليغا مهتما بالسجع, و دقيقا جدا في كلامه وواضحا و عميقا. فمثلا عندما يقول "ان هؤلاء لشرذمة قليلون, و انهم لنا لغائظون, و انا لجميع حذرون" من يتكلم هكذا في حديثه اليومي العادي!؟ فلو كان تاريخ لوجب ان ينقل لنا بدقة

كلامه هو كما هو. و لا يخفى على العارفين أن فهم هذه الكلمات الثلاثة الفرعونية لعل أغلب العرب المسلمين اليوم لا يدركونه, و لكي تفهم هذه الكلمات و عمقها قد تحتاج الى يوم كامل من الدراسة. فهل يوجد في الحياة اليومية المادية من يبلغ الاوامر لجنوده بهذه الطريقة؟ هذا يعني أن فرعون لم يتكلم في هذا الامر العظيم الا ببضع كلمات, و هذا ضد الواقع المعروف. و لكن السر هو أن هذه الكلمات تعبر عن كل الكلام الذي يتكلم به فرعون-كل فرعون- في مثل هذا الموقف. و كذلك في الكثير من الحوارات المنقولة في القرءان ستجد ايجازا و عمقا في التعبير قد لا يقدر بل لعله لا يقدر عليه احد من الناس خاصة لو كان ارتجالا في موقف من مواقف الحياة اليومية, و اخص من الخاص عندما يكون في موقف هلع او خطورة. و التاريخ الموثوق يجب أن ينقل الحديث المادي كما وقع لا كما يريد ان يشرحه المؤرخ و يجعله متناسبا مع سياق السورة و قافية ايات كتابه لأي سبب كان. كمثل نقل خطب القادة او وصايا رجال الدين و ما شابه.

و انظر مثلا في قصة "الارض المقدسة و موسى". لو كان القرءان تاريخ لكان معنى ذلك انه بناء على هذه القصة يجوز للمؤمنين أن يعتدوا على الناس في عقر دارهم ماديا, و قتلهم, و الاستيلاء على أرضهم. فهؤلاء "الجبارين" بالنسبة لموسى هم سكان الأرض. و موسى جاء بقومه لكي يأخذوا الارض منهم و يطردوهم منها. و عندما رفض اليهود طاعة هذا الامر بحجة انسانية و عقلانية تماما, و هي ان الارض يسكنها اناس (و من احيا أرضا مواتا فهي له) فكيف ندخل عليهم؟! فلو فهمت هذه القصة ماديا تاريخا لكان الحق مع اليهود ضد موسى. و لكن نرى أن القرءان يظهر ان اليهود كانوا هم المخطئين. و انظر مثلا الى ما يسمى فلسطين اليوم (التي يفترض انها المقصودة بالارض المقدسة في القرءان). فيوجد سكان عليها, و جاء العبرانيين (الذين هم اتباع موسى عندكم! و ان كنتم تدّعون انهم منحرفين عنه) و استولوا على فلسطين بحجة أن ربهم اعطاهم هذه الارض. فلماذا يشتكي الناس من هذا الاعتداء الصهيوني اذن؟ لو كان القرءان يقص تاريخا لكان فعل الصهاينة مبرر تماما على الأقل من ناحية مبدأ جواز الاعتداء على سكان أرض لاخذ أرضهم بحجة ان الاله اعطانا اياها, و هل فعلوا الا ما فعل موسى؟ و فهم القصة ماديا تاريخيا يخالف قول الله في مواضع كثير كقوله "لا تعتدوا" و منعه من سفك الدماء و السرقة و الحرابة. لأن فعل موسى ظاهره اعتداء بل أبشع صور الاعتداء, ذهب الى ارض مسكونة و اراد ان يقتل أهلها و يطردهم منها بحجة ان اصوات في رأسه أمرته بذلك. و فعل اليهود في رفض طاعة هذا الامر هو الفعل السليم لأنهم رفضوا هذا الاعتداء. و لكن اذا فهمنا القرءان كامثال – كما هو في الحق- فسنرى أن موسى على الحق و اليهود اخطئوا. (و لهذا البحث كتب اخرى).

و انظر مثلا في قصة عبس و تولى. فمعلوم أن الله يقول الحق, اي الباطن و الأصل, و يحكم به. فعندما يحكم بأنه "لا تعمى الابصار و لكن تعمى القلوب" و عندما يقول "عبس و تولى ان جاءه الأعمى" يكون الاعمى هنا هو الأعمى الحق أي اعمى القلب. و لذلك اضطر الاحزاب أن يأتفكوا سبب نزول, و هو أن الاعمى هذا هو رجل تاريخي اعمى جسمانيا. و أن النبي كان يتحدث مع رهط من كبار قريش (و عند بعض الشيعة أن العابس هو عثمان و ليس النبي) فتعال و انظر الى هذا الكلام! أترى لو أننا زعمنا ان سبب النزول الحقيقي هو أن 4 عميان جسمانيا جاءوا الى العابس, فكيف يمكن ان تردوا علينا؟ ببساطة, ستقولون: ان الاية تقول "ان جاءه الاعمى" و الاعمى

مفرد, و لم يقل: أن جاءه العميان. و كلامكم سيكون صحيحا و منطقكم ثابت. حسنا, أنتم تقولون أن العابس كان يتحث الى "رهط" من كبار قريش, أي جماعة يعني ثلاثة فما فوق. فكيف تقول الاية بعد ذلك "و اما من استغنى, فانت له تصدى, و ما عليك الا يزكى" استغنى مفرد, له مفرد, تصدى مفرد, و لم يقل استغنوا و لهم و يزكوا. فحتى محاولتهم البائسة التعيسة في الافك و الاختلاق ساقطة, ليتهم يكذبون بفن على الاقل كنا سنقدر فنهم و عمقهم و لو تبرأنا من كذبهم. و لكن أن يجتمع الكذب و السخافة فهذا من مصاديق "او تهوي به الريح في مكان سحيق".

و انظر مثلا الى قصة موسى و المسمى بالخضر في سورة الكهف. عندما قتل الخضر الغلام قال مبررا فعلته "و اما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا و كفرا, فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة و أقرب رحما" جميل! تصور لو أن اليوم جاء رجل و سفك دم ابنك, غلام بريئ (حتى هو اعترف بذلك) "نفسا زكية بغير نفس", ثم قبضت الشرطة عليه, و لما استجوب عن سبب فعلته النكراء هذه قال: لان صوت في رأسي قال لي أن هذا الغلام سيكبر و يتحول الى ارهابي و يفجر نفسه وسط ازدحام شديد و سيموت الاف الناس, و لذلك قتلته الان, و الله سيعوض أهله ان شاء لله خيرا منه! ثم ما رأيك لو جاء جماعة من المتدينين و قالوا أن هذا السفاك المهلوس هو عبد مخلص لربهم و رحيم أيضا! أحسب ان ربهم لا يكون أقل من ابليس بل ابليس لم يقتل احدا و لم يؤثر عنه ذلك في القرءان. ثم ان كان موسى قد عفى عن الخضر, فأين أهل الغلام و كيف تركوه ينجوا بفعلته؟ ام ان الغلام المسكين كان مجرد فأر تجارب لكي يتعلم موسى درسا ثم فر الخضر و موسى و أطلقوا سيقانهم للريح؟ و هل يجوز ان نستنبط من هذه القصة جواز اجراء التجارب القاتلة على الاطفال و الناس عامة في بعض الظروف؟ و هل أصلا عقاب عقوق الوالدين هو القتل؟ على فرض ان العقوبة هي القتل, أليس حق المطالبة بهذه العقوبة منحصر في المعتدى عليهم , فيجب في هذه الحالة و في أضعف الايمان ان يستأذن الخضر من أهل الغلام قبل ان يسفك دمه. و كم من الاهالي يرضون بطغيان ابناءهم و يتحملونهم و لا يمكن بحال ان يرضوا بسفك دمهم من اجل هذا الطغيان و الكفر. ثم ان كانت عقوبة عقوق الوالدين هي القتل فلماذا لا تقررون هذاكحكم شرعي. و انا في العادة اذا وجدنا ابوين مؤمنين جدا ثم وجدنا الابن يكبر مخالفا و كارها لابويه فهذا يدل على أنهم فشلوا في تربيته, فالوزر يقع عليهم اولا ان لم يكن الوزر كاملا. فكيف يكون جزاء هذا الغلام النفس الزكية المغلوب على أمره هي القتل لأن الأبوين فشلوا في تربيته؟ ثم هل كل من يتنبأ و يسمع أصوات في رأسه تقول له أن يقتل و يسرق و يسفك دماء الأطفال هو مبرأ من جرمه هذا؟ اذ لو كان الأمر كذلك فان كل مجرم سيأتي و يقول "ما فعلته عن امري". و بناء على الفهم التاريخي المادي السخيف و الخطير للقصة فانه يجب أن نطلق سراح هؤلاء المجرمين, اذ لاشك اننا لن نستطيع ان ندخل آلة تسجيل صوتي داخل رؤوسهم لنتاكد ان الله اوحى لهم ان يجرموا أم لا! و الكثير الكثير من الاعتراضات التي تثبت ان هذه القصة كغيرها لا علاقة لها بالتاريخ, بل كما قال القرءان هي امثال و رموز, "أنباء الغيب".

و كمثال اخير- بالرغم من اني استطيع ان اذكر الكثير جدا من امثلة من هذا النوع- لننظر الى قصة طوفان نوح. هذه القصة التي هي من اكبر اسباب الالحاد العلمي على مستوى العالم. و للملحد الحق كل الحق في رفض الكتب

التي تدعي ان هذه القصة هي حدث تاريخي مادي. أولا, تقول القصة أن نوح حمل معه في السفينة كل الحيوانات و النباتات على رأي البعض. عدد العناكب فقط يصل الى فوق العشرة الاف, فما ظنك بالباقي! ثم ما حجم السفينة هذه الذي يمكن أن يسع كل الحيوانات في العالم! و على فرض ذلك و هو مستحيل و لكن لنتنزل, كيف استطاع نوح ان يجلب كل هذه الحيوانات الى منطقة واحدة! و كيف استطاع أن يوفق بينها فلا تأكل بعضها بعضا! و من أين أطعم كل هؤلاء و هم في سفينة مغلقة لمدة الله أعلم بطولها! و أين اخرجوا هذا الطعام الذي أكلوه! ثم ألم يتعجب قوم نوح من رؤية الملايين من انواع الحيوانات و هم يأتون كقوافل الحج الى حيث نوح يصنع سفينته, تصور المشهد حتى تدرك عظمته و تدرك استحالة وقوعه. ثم اي نوع من السفن كان باستطاعة نوح في ذلك الزمان (يقال أنه حدث قبل عشرة الاف سنة أقل أو اكثر, و عند العبرانيين أنه حدث قبل نحو خمسة الاف سنة على الاكثر اذ عمر الكون عندهم لا يجاوز ستة الاف سنة فتأمل و اعذر الملحد في الحاده) أن يبنيه؟ هل هو من الخشب, ام الحديد ام ماذا, اي سفينة بهذا الحجم الخرافي الهائل يمكن ان يبنيها رجل و معه قلة من "الاراذل" و الضعفاء و الفقراء في ذلك الزمن الغابر. و على فرض ان كل هذه المستحيلات جدا وقعت, فأين اثار هذه السفينة التي تجعل سفينة التايتانك او حاملات الطائرات تبدوا كلعب الاطفال مقارنة بها, أين اثارها؟ نحن نرى اليوم اناس يكتشفون اثار لأشياء و هياكل عظمية بشرية و غير بشرية و أصغر منها منسوبة الى عصور أبعد من الزمن الذي ينسب اليه الطوفان المزعوم هذا. كل هذا الكيان الهائل لا أثر له. ثم ان الاية القرءانية تقول "ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر و فجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر" فجسمانيا هذا يعني ان الارض امتلأت ماء حتى وصل الى السماء, فأصبح العالم مثل المسبح, و كل ما على الأرض غرق , اللهم الا السمك و من في سفينة نوح! و اقول للمفكرين الاسلاميين من الاحزاب الذين يحاولون ان يوفقوا بين تاريخانية القرءان المزعومة و أن القرءان موافق للعلم و ليس فيه مثل خرافات التوراة العبرانية: استحوا! أنتم تقولون أن الله اغرق قوم نوح فقط, و هذا يعني بقعة معينة فقط من الارض, و أيضا تقرون في سياق نقدكم لقصة التوراة أنه يستحيل علميا و بحسب سنن الله في الخلق أن يرتفع منسوب الماء الى ارتفاع هائل كما تزعم التوراة و هو ان الماء ارتفع فوصل فوق اعلى جبل بأمتار عدة, حسنا, اليس القرءان يقول ان منسوب الماء ارتفع ليس فقط فوق اعلى جبل, بل وصل الى السماء! و تقولون أيضا في سياق نقدكم للتوراة أنه على فرض ان كمية الماء هذه فعلا نزلت فأين ذهب كل هذا الماء اذ من المستحيل علميا أن تبلع الارض هذا الماء. أقول ألم تقرأوا "يأرض ابلعي ماءك"؟! يظهر أنكم من الذين يرون القذى في عين الاخر و لا يرون الفولاذ في اعينهم. و بسبب قول القرءان هذا و اعتباره جسماني تاريخي قال بعض المفسرين-شخصيا اسميهم مدجّلين- ان سفينة نوح كانت تسبح كالسمكة, اي انها مثل الغواصة في عصرنا هذا. و فاتهم ان القرءان وصف امرين متناقضين ظاهرا في وصف الطوفان و لا يمكن حل هذا التناقض السافر على اعتبار التاريخانية, يقول مرة ان الموج كان "كالجبال" و مرة أن الماء اتصل بالسماء و ملأ كل شئ! ان كان كالجبال فهذا يعني أنه يوجد مساحة بينه و بين السماء, و ان كان ملأ العالم حتى التقى ماء الارض بالسماء فهذا يعني انه لا يمكن أن يشبه بأي شئ له حدود كالجبال أو ناطحات السحاب. اجيبوا عن هذا و عن كل ما قدمناه يا "اهل الذكر و حملة الامانة" و نكتفي بهذا.

و مثلا في نقل أسماء الشخصيات التاريخية. القاعدة الاساسية في ترجمة اسم من لغة الى لغة اخرى هي ان كل حرف يجب ان يبحث له عن نفس الحرف (من حيث النطق) من اللغة الأخرى, و اذا لم يكن في اللغة الاخرى نفس

الحرف او ما يقوم مقامه في النطق فيجوز عندها- و عندها فقط- وضع أقرب حرف بديل. مثلا, اسم الرئيس الأمريكي جورج بوش, اسمه في اللغة الانكليزية ينطق بطريقة معينة, فاذا اردنا ان نترجم اسمه الى العربية فاننا نستطيع ان ننقله بدقة لان كل حروف اسمه لها ما يقابلها في العربية, و لذلك نرى ان نطق اسمه بالانجليزية كنطق اسمه بالعربية الى حد كبير جدا. و لكن كلمة "الانجليزية" لاحظ اننا مرة نترجمها بحرف الكاف (انكليزية) و مرة بالجيم (انجليزية) , لماذا ؟ لانه يوجد في الكلمة الأصلية حرف ليس عندنا في العربية ما يقابله, فيجوز عندها أن نجد بديل. الان, شخصية مثل "عيسى" الذي يقال انه هو الرجل العبراني معبود الصليبين. ما هو الاسم الاصلي لهذا الرجل العبراني ؟ اسمه العبراني هو "يشوا", كل حروف اسمه توجد في العربية, فاذا اراد الله ان يذكر لنا هذا الرجل فان ترجمة و نقل اسمه الى العربية يجب ان تكون هكذا "يشوا" , اذ كل الحروف موجودة عندنا. و لكن ما هو اسم القرءان؟ هو عيسى. ما علاقة عيسى بيشوا! و قس على ذلك كل الاسماء الاخرى. هل فهمت الان السفاهة التي وقع و لا يزال يقع فيها الأحزاب. على قولهم, الله تعالى يكون اما لا يفهم العبرية, او انه لا يحسن قواعد الترجمة و النقل! سبحانك.

4 " موافقة الكتاب التاريخي للمؤرخين الاخرين"

بما ان أكثر الناس يظنون أن أكثر الشخصيات القرءانية هي هي نفسها الشخصيات التي يتحدث عنها الكتاب العبراني, فلنقارن به. و لا يقال أنهم حرّفوا لانهم هم الأصل هنا, و اللاحق هو المحرف و ليس السابق. فهذا الكتاب العبري و ملحقاته تعتبر تاريخ كما عرفنا, (بالرغم من أنه يوجد بين علماء العبرانيين من يرى أن لهذه القصص أبعاد باطنية كالكبالا). و القرءان يعتبره اخوان هؤلاء انه كذلك تاريخ. و بالرغم من انه من الاحزاب من يقول أن التوراة تحرفت, و يوجد كذلك من لا يقول بذلك كليا و يجعل التحريف انما وقع في بعض المواضع كاخفاء اسم محمد مثلا! و لنأخذ برأي الجمهور الذي يعتقد انها تحرفت, و نذكر أن التحريف المقصود ان وقع فعلا فلا شك أنه ليس لأحد مصلحة في تحريف امور فرعية بسيطة لا علاقة لها بجوهر الأمر. و نذكر مرة أخرى أن بعض علماء الأحزاب يرى أن التحريف الواقع في التوراة متعلق فقط بذكر اسم محمد, أي انهم حرفوا المواضع التي تذكر محمد و نبوته و غير ذلك من الأمور المهمة.

الان, يوسف في القرءان من المفترض أنه نفس "يوسف" التوراة او لا أدري ما اسمه. و ان موسى القرءان هو موشه التوراة. و ان عيسى القرءان هو يشوا أو يسوع العبراني المصلوب.

كم من مخالفة توجد بين قصة يوسف في القرءان و قصة "يوسف" في التوراة؟ اسألوا علماء الأحزاب. الكثير جدا. و اخر ما اتذكر أني قرأت بحثا في هذا الأمر و قد عقد مقارنة بين القصتين, و الاختلاف كان اختلافا جذريا و هائلا و كثيرا, و لعلها بلغت فوق السبعين او أكثر. و يوجد أمور في القرءان لم تذكر في التوراة العبرية, و الكثير الكثير.

كم اختلاف يوجد بين موسى القرءان و "موسى" التوراة العبرية؟ كذلك الكثير. فمثلا القرءان يقول ان الذي اخذ موسى هو "امراة فرعون" و لكن التوراة تقول أنها "بنت فرعون" , فاما أن فرعون كان ينكح ابنته أو أن القرءان اخطأ في الوصف و العياذ بالله!

و عيسى مثلا, يقول القرءان أنه ولد تحت "جذع نخلة" و أن أمه كانت وحدها. و كتب الصليبيين تقول انه ولد في مغارة أو اسطبل. عيسى "أحي الموتى" بالجمع, أي ثلاث مرات فما فوق, و اما يشوا او يسوع فلم يحي الا ميت واحد و هو العازر (احياء جسماني !) هذا على فرض أن "الموتى" في القرءان هم الموتى الجسمانيين بالرغم من ان القرءان بين أن الميت هو الذي لا يرى رؤية الله للعالم "أو من كان ميتا فأحيياه و جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمت ليس بخارج منها" فالأمر قلبي معنوي و ليس جسماني. فالميت كالاعمى لا علاقة له بالجسم و لكن بالقلب. يسوع كان يكرر كثيرا أنه "ابن الله" أما عيسى فلم يذكر ذلك و لا مرة و لكن "عبد الله". عيسى ظهرت براءة امه من قذف اليهود لها بالزنا عن طريق حادثة الاشارة و تكلم في المهد, أما يسوع فكان الناس يرون ان شخصا اسمه يوسف النجار, و تبرئة امه في عين يوسف النجار هذا كانت برؤيا راها خطيبها النجار. هذا اسمه "عيسى" و ذاك اسمه "يشوا" ألاتبصرون؟! واحد اسمه فتحي عبد الصمد و اخر اسمه رمزي عبد الرزاق كيف يتجرأ ان يقول السفهاء أنهما شخص واحد! يشوا صلب و عيسى لم يصلب. يشوا قتل و عيسى لم يقتل. و لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك في مجادلة جهلة هجروا كتاب ربهم لخرافات.

و نوح مثلا يقول أن سفينته في القرءان استوت على "الجودي" و في التوراة على جبل "اراراط", أي حكمة في تحريف مثل هذا؟ و على فرض صحة هذا او ذاك فهيا اذهبوا الى الجبل و اخرجوا اثار تلك السفينة العظيمة التي تفوق الوصف.

و كل هذه الاختلافات و غيرها كثير في الظاهر و في الباطن هي السبب الذي جعل بعض أعداء دين الاحزاب أن ينفوا الربانية عن القرءان على اساس انه مخالف للتاريخ. و بالطبع القرءان مخالف لتاريخهم لأن القرءان ليس تاريخ أصلا. و يكفي هذا.

فاذن المعايير الأربعة التي يجب ان تتوفر في اي كتاب تاريخي علمي كلهاغير متوفرة في القرءان جملة و تفصيلا. اذهب و اقرأ كتاب تاريخ و قارنه بالقرءان لترى هل يوجد صلة قوية بين الأمرين. التاريخ مادي سردي و ممل غالبا, اما القرءان فهو القرءان.

ثم اذا نظرنا من زاية اخرى, من زاوية الهدف من الكتاب. فسنرى بسهولة أن هدف التاريخ هو اثبات عالم قديم. و اما هدف القرءان فهو خلق عالم جديد. التاريخ في الغرب و القرءان في الشرق.

القرءان يجعلك تتخيل أمور لتستنبط منها, فهو كالرؤيا, يريك رغبة الله محققة, من الذي سيحقق رؤية الله؟يقول "و لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز".

فاذن نخلص من كل هذا أن القرءان ليس له تاريخ, و لا علاقة له ظاهرا بالتاريخ, و لا يمكن لا ظاهرا و لا باطنا أن يكون تاريخ. فهو كما قال كثيرا "و لقد صرفنا في هذا القرءان للناس من كل مثل. و كان الانسان أكثر شئ جدلا", فماذا فعل الناس بهذه الامثال الربانية الحاكمة على كل شئ؟ كما تنبأ "و لقد صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل, فأبي أكثر الناس الا كفورا". و لذلك "اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أسطير الأولين". فويل لكل افاك اثيم.

القرءان رؤيا الرحمن. و بالتأويل يعرف السر. "و يعلمك من تأويل الاحاديث" "الله نزل أحسن الحديث كتابا". فهل من مدكر؟

2 تساؤلات و أفكار

1 لكل نظام افكار وسيلة لاثبات صدقها من عدمه. و القرءان يعرض علينا ايات, علامات تدل على حقائق, او هذا هو المفترض. و الان التسائل هو هذا: ما هي الوسيلة لمعرفة صدق ام كذب هذه الايات, كلها او بعضها؟ و تساؤلنا هو عن قصص القرءان حصرا. اي الانباء التي فيه. القرءان نفسه يجيبنا عن هذا التساؤل باجابة لا يوجد أحسن و لا أقوم منها. يقول الله "سنريهم ءايتنا في الافاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" فهذا اذن هو معيار صدق الاية: ان نراها في الافاق و في أنفسنا.

لاحظ انه يقول "سنريهم" و ليس: سنخبرهم, او سنروي لهم, او سيقال لهم, او سيشهد اباءهم على انها الحق, لا لا, انما "سنريهم" هم أنفسهم, كل واحد منهم ممن له عينين ليرى. و الرؤية المباشرة لا تكون الا من الحي للحياة الواقعية.

و الان: ان كانت قصص القرءان تاريخ وقع في زمن غابر, كيف سنراها في الافاق و الانفس؟ كيف سنرى فرعون و موسى, كيف سنرى احياء الموتى, كيف سنرى انفلاق البحر, كيف و كيف...الخ؟

لا أحد يستطيع ان يرى نابليون و معركة واترلو في الافاق و الانفس, لا احد يستطيع ان يرى فتح القسطنطينية من قبل محمد العثماني, لا أحد يستطيع ان يرى فريدريك نيتشه و هو يؤلف كتابه "هكذا تكلم زرادشت" . أظن المسألة واضحة. هؤلاء تاريخ, هؤلاء وقائع أرضية جسمانية, لا تتكرر بنفسها مرة أخرى أبدا, كما ان وجود جسمين لهما نفس بصمة الأصبع هو من الامور التي لا تتكرر.

و أما الامثال فانها النماذج العليا للعوالم. هي الأصول التي تتفرع مصاديقها في العوالم دوما. و لذلك تتكرر و تدور دوراتها دوراتها دوما على مستوى الافاق و الانفس بحسب معانيها الخاصة و أبعادها و جوهر الرمز الذي فيها. و لذلك فهي تتبع ما يسميه القرءان ب "سنت الله" و التي لن تجد لها تبديلا و لا تحويلا. فهي تشبه مراحل النطفة و العلقة و المضغة في تطور الجنين, كل جنين سيمر بهذه المراحل اذا كتب له الاستمرار في الوجود هنا و

التخلق و التطور. فكلمة "نطفة" هي مثال, هي نموذج يمر فيه الجنين , كل جنين. و كذلك كلمة "موسى" نموذج, مثال, رمز, سنة من سنت الله في العوالم. و قل مثل ذلك في البقية.

و لكن ما فعله الاحزاب هو انهم جعلوا قصص القرءان حوادث وقعت في زمن محدد على مستوى أرضي مرة واحدة و انتهى الامر. و ان- ان!!- تبرعوا على القرءان و ذكروا مثلا ان الطاغية فلان هو مثل "فرعون" فانما يذكرون هذا من باب "المجاز" هذا الباب الشعري القبيح الرقيع الذي يناسب الاعراب و من شايعهم. و أصبح القرءان عندهم يتحدث لغة "المجاز" و هو البديل الوحيد الذي استطاعوا ان يرقّعوا به الخروق الكثيرة في ثوب دينهم المقطع, فهم أشبه ما يكون باخوة يوسف عندما قطعوا ثوبه و لطخوه بدم كذب, ثم يقفون امام الله يوميا بهذا الثوب الاثم و يحسبون انهم يحسنون صنعا.

ما هو المجاز؟ هو الكذب المبرر. هو اللغو المرضي عنه. هو شهادة الزور المقبولة في محاكم الجبت و الطاغوت. هو مجرد وسيلة ليقولوا ان القرءان يتحدث كلام فارغ و لكن ليس بهذه الصراحة الجارحة و انما بوسيلة ألطف قليلا, و هي ان القرءان استعمل أساليب الأعراب في الحديث – الاعراب الذين هم أشد كفرا و نفاقا في نظر القرءان نفسه فتأمل- و هو ادعاء مبطن بأن القرءان كتاب شعر, و ليس كتاب علم. اذ المجاز هذا يستعمل كثيرا في لسان الشعراء, و و أين لسان الشعراء من لسان الانبياء! و لذلك لم يتورعوا أن يحشوا كتب "التفسير" المزعومة هذه بالكثير جدا من الشعر. بل أصبح الشعراء هم مرجعهم الاساسي في فهم لسان العرب. و ليس أي شعراء, بل الشاعر كلما كان أعرابيا بدويا جلفا كلما كان أرقى لغة و أحسن للاسشهاد بشعره في سبيل فهم كتاب الله!

على أية حال, بعد ان قتلوا – بالنسبة لهم- قصص القرءان بالاعتقاد أنها تاريخ واجهوا مأزقا و هو هذا: اذا كانت حوادث القرءان تاريخ, فما الفائدة منها لنا الان؟ و لخرق هذا الرتق الواسع قاموا بابتكار أكثر من فكرة:

أولا ان الامثال القرءانية يمكن ان تعتبر مجازا, بالمعنى الذي ذكرناه من قبل, و هو انهم اذا وجدوا شبها بين قصة قرءانية و وواقع يعيشونه فانهم يسمون الواقع بأسماء الامثال القرءانية, و لكنهم لا يقصدون هذه التسمية فعلا, و لا يعتقدون انها انطباق المثل القرءاني على المصداق الواقعي, لا, و انما من باب الشعارات الدينية التي تحمس الجماهير او من باب صبغ الحياة بصبغة الله و ما شابه من أمور أغلبها لا يسمن و لا يغني من جوع بالنسبة لمن يريد حقائق و ليس مجرد شعارات و مجازات.

ثانيا, ان القرءان له أسلوب خاص في استعمال القصص التاريخية, أي انه لا يخوض في التفاصيل التي لا داعي لها , و لكنه يذكر العبرة فقط. و هذه هي اقوى فكرة عندهم في هذه المسألة. فتعالوا نتأملها جيدا..

أما عن كون قصص القرءان تاريخية فهذا لا دليل موضوعي او استقرائي عليه البتة كما رأينا من قبل, فكل كلامنا الاتي انما هو من باب التنزل و المشي مع الكذاب الى وراء الباب كما يقال لنرى قيمة هذا البيت الذي بناه الاحزاب لانفسهم منذ قرون.

أما ان قصص القرءان لا تخوض في التفاصيل, فمن أين جاءوا بهذا الاقتراح لا أدري. هل عندهم القرءان, هل يرون القرءان؟ أشك. الله نفسه يقول واصفا القصص التي حدثنا بها كما في نهاية سورة يوسف " لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى و لكن تصديق الذي بين يديه, و تفصيل كل شئ " الله يقول "تفصيل كل شئ" و هم يقولون و يعتقدون منذ قرون : لا لا ليس تفصيلا لكل شئ! ثم من ناحية أخرى, اقرا القصص بنفسك و سترى انها فعلا تفصل كل شئ تريد هي أن تفصله. يظهر ان ما دفع الاحزاب لكي يدعوا ان القرءان لا يخوض في التفاصيل هو انهم يملكون اعتقادا عن تفاصيل معينة و هم لا يرون هذه التفاصيل في القرءان. و هذا هو أساس المشكلة. فمثلا, عندما يقرأون ان الله وصف سفينة نوح بانها "ذات الواح و دسر" و قرأوا في توراة العبرانيين ان السفينة طولها كذا و عرضها كذا و فيها كذا و كذا و تفاصيل كثرة دقيقة حول تصميم السفينة, فعندها – و عند امثال هذه المقارنات- قالوا ان القرءان "لا يخوض في التفاصيل". بل عملهم هذا لم يقتصر على القصص, بل امتد ايضا ليشمل باقي موضوعات الدين, مثل الصلاة, فعندهم ان الله لم يفصل موضوع الصلاة, و لكن كتبهم و مروياتهم تفصلها. و قل مثل ذلك في الباقي. فهم عندما لم يجدوا كتاب الله يفصل ما يرغبون هم في رؤيته رموا الكتاب العزيز بتهمة انه غير مفصل. و أيضا بناء على اعتقادهم بتاريخية القصص , و علمهم بان الحكاية التاريخية يجب ان تكون اكثر تفصيلا و تدقيقا – كما ذكرنا من قبل- فانهم لترقيع هذا الخرق اضطروا الى اختلاق هذه الفكرة الغير صادقة أو محترمة بالمرة.

و أخيرا يعتقدون ان القصص القرءاني تاريخ مادي وقع في زمن غابر ما على الارض بالطريقة الجسمانية, يعني شق البحر هو شق جسماني لبحر جسماني بالطريقة التي يتخيلها الاطفال. و كذلك تحويل العصا الى ثعبان هو تحويل عصا – لعلها من خشب- الى ثعبان جسماني كهذا الذي تراه في الغابات. و هكذا دواليك, فهم فوق اعتقادهم هذا يقولون أن الهدف من هذه القصص هو العبرة.

أقول: اي عبرة يرحمكم الله! أي عبرة ان كانت الواقعة مفارقة تماما لكل شئ نعيشه, و لكل شئ يمكن ان نعيشه؟ ما الفائدة من القصة اذا لم تكن حقيقية في حياتي؟ تصبح القصة لغو و عبث و مضيعة للوقت. و فعلا هذه هي النتيجة الحتمية, و لذلك القرءان مهجور في أوساط الاسلاميين على العموم, و مهما يحاول دعاتهم ان يجعلوا الناس تتمسك و تحب القرءان فانهم لا يفلحون, و لن يفلحوا أبدا, لان عقيدتهم و رؤيتهم للقرءان لا تنتج حبا له, بل نفورا منه و زهد فيه. كيف تريدون ان يحب الناس دراسة قصة تحكي عن رجل قبل الاف السنين حول الله عصاه الى ثعبان حتى يكون هذا التحويل وسيلة الى اقناع طاغية بلده؟ ما العبرة التي استفيدها من هنا؟ بل ان هذه

القصة مضرة جدا للناس. لانهم سيقولون- و بحق: و لماذا لا يعطيني انا ايضا الله مثل عصا موسى هذه حتى استطيع ان ادعوا بها و أفلق البحر؟ و لا جواب الا الجواب المنهزم الاخير لكل من لا يملك جواب: الله اعلم و احكم.

عندما أقرا ان موسى و بني اسرئيل كانوا سيذبحون على يد فرعون لولا ان الله فلق بهم البحر, اذا اعتقدت بتاريخيتها و ماديتها, أي عبرة ساستفيدها؟ هل سأذهب و أجمع الناس للهجرة ثم اذا لاحقتنا الشرطة و نحن على طرف البحر الاحمر, فاني ساقف و اقول "ان معي ربي سيهدين" ثم انتظر انفلاق البحر كما حصل لموسى؟

عندما اقرا عن الله رفع عيسى ليطهره من الذين كفروا, ماذا استفيد اليوم اذا كانت هذه تاريخية مادية؟ اي عبرة بالضبط؟

طبعا كل اجابة عن هذه التساؤلات التي ذكرتها لن تكون الا اجابة وعظية وهمية لا تقدم و لا تؤخر, و انما هدفها الوحيد هو أن تبرر. و كل اجابة محتملة لن تكون الا استنباط معنوي من رمز القصة. فمثلا من قصة فلق البحر قد يقال ان العبرة هي هذه: اذا التزمنا بمنهج الله و سرنا بحسب امره فان الله سيتكفل باخراجنا من كل مازق مهما كان ظاهر المأزق انه لا حل له و لا مخرج منه. و ان هذه لعبرة جميلة فعلا! و لكن لاحظ ان هذه العبرة مبنية على ان القصة مثل و رمز, و لا علاقة لتاريخيتها ابدا. فعندما يستنبط احد من القصص القرءانية مثل هذه العبر فانما هو يجلس في حضن "الامثال" و لكنه ينتف في لحية النظرية! هو يجلس على الشجرة و ينكر وجودها.

لا يمكن الجمع بين الاعتقاد بالتاريخ و الاعتقاد بالامثال في قصص القرءان. فلا يقال انها قصص تاريخية جاءت كامثال. لانها لو كانت تاريخية مادية فانه لا فائدة منها أصلا. بل ان من الخطورة الشديدة ان يعتبر بها أحد! تصور ان يخرج شباب الى كهف من الكهوف اتباعا لسنة أصحب الكهف! تصور ان يتهور انسان في تحطيم مقدسات قومه اتباعا لسنة ابراهيم و اعتقادا بان الله سينجيه من النار اذا القوه فيها! تصور ان تبني المجتمعات سياساتها الاقتصادية بناء على احلام اتباعا لسنة يوسف! يا لطيف الطف!

و لذلك انا لا استغرب أبدا ان الناس عموما قد زهدوا في القرءان, و اصبح مجرد كتاب للتغني و شئ من التدبر السطحي او الوعظي و الاخلاقي الاجوف, فعلا ما حاجتهم لمثل هذه القصص التي تخالف واقع حياتهم و حاجاتهم؟ باختصار: انهم لا يرونها في الافاق و الانفس. و بالتالي فهم لا يمكنهم اصلا ان يتبين لهم ان القرءان حق. و بناء على ذلك, كل هؤلاء الذين يزعمون انهم يعتقدون ان القرءان حق انما هو نفاق في نفاق. الله نفسه يحكم باستحالة ذلك. انما هو ترديد كلام لا وزن له.

حرق القرءان خير من الاعتقاد ان قصصه تاريخ.

و ما نسميه نحن "تاريخ" و هي تسمية غير دقيقة و غامضة, يسميه القرءان "أساطير الاولين". و هؤلاء الذين قيل فهم "و اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين". من تحريفات الاحزاب لهذه الاية , او هذه النبؤة بالاصح, هو انهم زعموا ان معنى هذه الاية ينطبق على الكفار و الجاهليين و ليس عليهم هم بالاخص. يعني انها تنطبق على امثال ابوجهل و من شايعه من كفار قريش في قصصهم. الاية نفسها تنفي ذلك نفي قاطع. الدليل؟ تأمل:

الاية تقول "ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير" و انا أسالكم بالله: اذا ذهبنا الى أبوجهل و قلنا له "ماذا أنزل ربكم" بماذا سيجيب؟ انا اقول لكم, سيجيب: ان ربنا لم ينزل شئ أصلا!!! لن يقول اساطير او غير اساطير, هو لا يؤمن اصلا بان ربه انزل شئ, فوصف القرءان بانه "أساطير الاولين" كما في هذه الاية يتضمن اعترافا مسبقا بالاعتقاد بان القرءان منزل, و لكن وصف القرءان عندهم هو "أساطير الاولين".

و الان اذا جئنا الى من يسمون أنفسهم بالفرق الاسلامية, و سألناهم "ماذا أنزل ربكم؟" فان اجابتهم الحتمية – و ان كانوا لن يستعملوا نفس لفظ القرءان الا أن معنى كلامهم هو معنى لفظ القرءان- اجابتهم ستكون "القرءان ذكر قصص الرسل الاولين و ما جرى لهم مع اقوامهم". و هذا يعني "أساطير الاولين" لا أكثر و لا اقل. "أساطير" لا تعني دائما الكذب و الاختلاق حتما, الا انها تلمح الى ذلك, و لكن أصل الكلمة من السطر و هو الكتابة في السطور, من التسطير, كمثل "ن و القلم و ما يسطرون". و اما "الاولين" فهي تتضمن اعتقادا بان حقبة زمنية بائدة يبدأ منها العد و ان هذه الفترة – فترى الاباء و المعلمين و الاسلاف المعظمين- هي مركز الثقل في اعتقاد هؤلاء و المرجعية لهم في احكامهم و قيمهم, او هكذا يدعون على الاقل. فاذا رتبنا هذه الافكار ستصبح هكذا: الرسل و اقوامهم هم "الاولين" و القرءان هو الذي "سطر" هذه القصص و اخبرنا بها. و هذا يعني الاعتقاد بان هذه القصص وقعت في زمن سابق مثلها مثل اي حادثة تاريخية نعرفها. اللهم ان خبرها غاب عنا و القرءان نقلها لنا.

فهؤلاء الذين يسميهم الاحزاب "كفار و جاهليين" ليسوا الا هم أنفسهم! هم الذين يعتقدون بان القرءان منزل من ربهم, و انه اساطير الاولين. لا ينطبق هذين الوصفين على أحد من أهل الارض قاطبة, لا اهل الارض الحاضرين و لا البائدين, بل و لا يمكن ان ينطلق, الا على من يسمون انفسهم بالفرق الاسلامية. فهم وحدهم من ينطبق عليهم شرط الاعتقاد بان القرءان منزل, و الشرط الثاني ان قصصه تاريخ او "اساطير الاولين". طبعا مع استثناء العارفين منهم بهذه الحقيقة و انما نتكلم على العموم.

فاذن خلاصة الامر: القرءان ليس تاريخ او اساطير الاولين, و لكنه امثال تجري مجرى الشمس و القمر في الافاق. فكما انك ترى "يقلب الله الليل و النهار" كذلك ترى "اذهب الى فرعون انه طغى" , كلاهما من سنت الله, و لن تجد لسنت الله تبديلا و لن تجد لسنت الله تحويلا.

و بالطبع هذا لا يعني كل أحد سيرى, فكم من اعمى, و كم من ميت, و كم من مقبور. "او من كان ميتا فأحيينه و جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمت ليس بخارج منها".

2 تأمل مثلا في قصة يونس و الحوت. اذا اخذناها على اعتبار انها حدث تاريخي ارضي بالمعنى الذي يتصوره معظم الناس, اي ان رجلا في غابر الزمان ابتلعه حوت و لكنه لم يمت و انما بقي حيا داخل بطن الحوت, ثم جلس في معدة الحوت و سبّح ربه و استغفر, فألهم الله الحوت ان يستفرغه و يتقيأه و يخرجه من معدته, الى اخر القصة. ما الاشكاليات على هذه النظرة؟

أولا, لا يوجد حوت في عالم الأجسام هذا يستطيع أن يبتلع انسانا و يبقى حيا في بطنه. فحتى اذا افترضنا أن حوتا ابتلع انسانا و بقي هذا الانسان حيا لان الحوت يبتلع بدون أن يمضغ, فان الأحماض التي يفرزها هذا الحوت في معدته كافية لان تقتله بل لتذيبه.

ثانيا, القرءان يقول عن يونس بعد أن ابتعله الحوت " فلولا أن كان من المسبّحين, للبث في بطنه الى يوم يبعثون " فكيف يمكن ان نعتبر هذه القصة جسمانية, و نحن نعلم – و الكل يعلم- انه لا يمكن لحوت بل لانسان ارضي أن يبقى حيا "الى يوم يبعثون" ؟! اي حوت هذا عنده القدرة ان يبقى حيا لأف سنة مثلا ؟! و لا يقال: ان الله قادر على أن يفعل ذلك. فنحن لا نتكلم عن قدرة الله, و الاحالة على قدرة الله المطلقة هي اخر مفر لمن لا يجد جوابا سليما. و كل مدّعي بدعوى يستطيع أن يحيل على قدرة الله المطلقة, و هيهات أن يبقى شئ من العلم بعد ذلك. و نحن عندما نتكلم عن سنة الله في العوالم فنحن نتكلم عن قدرة الله تعالى, فالله هو الذي خلق هذه السنن و حدد هذه الأمور و ليس العفاريت مثلا.

ثالثا, القرءان يقول " فالتقمه الحوت" لاحظ انه لم يقل : فالتقمه حوت. و لكن " الحوت ". لماذا؟ لو كانت المسألة جسمانية كما يتخيل البعض, و كان الحوت الذي ابتلعه هو اي حوت في هذه البحار, فاذن لقال : فالتقمه حوت. و لكن وجود الألف و اللام قبلها يوحي بأنه حوت واحد مطلق معروف. "الحوت" فهو واحد لا ثاني له. و هو رمز على شئ معين. و لست هنا في مقام دراسة هذه الرموز و الأمثال فلها مقام اخر. و انما الهدف من هذا الكتاب هو التأصيل لكون قصص القرءان أمثال و رموز. و أما تأويلها فمسألة أخرى تتفرع عن هذه و تبنى عليها. فلا فائدة من تأويل الرموز لقوم لا يؤمنون بالرمزية, فان هذا من مضيعة الوقت و الجهد, بل انه سيؤدي الى تكذيب الله و رسوله.

رابعا, أي فائدة في هذه "المعجزة" ان لم يكن يوجد أحد من الناس ليشاهد هذه الحادثة ؟ قد يقال أن ركاب السفينة شاهدوا الحوت يبلتع يونس, و رجعوا الى قومهم و قصوا عليهم خبر هذه الحادثة, ثم بعد فترة وجدوا يونس ماثلا أمامهم يدعوهم الى الله. و لكن يرد على هذا الاحتمال أن القرءان نفسه لم يقص علينا أن يونس قال لقومه : يا قوم, ان الله أيدني باية و هي أن الحوت ابتلعني كما حدثكم من رأوه يبتلعني, و ها ان الله نجاني لتكون لكم هذه الحادثة كاية على صدق دعواي بأني رسول الله. و لم يقل يونس اي شئ من هذا القبيل. فضلا عن ان هذا السيناريو أو الاحتمال يسبب اشكاليات كثيرة بحد ذاته. فقد يرد القوم على يونس بأن يقولوا: ان العواصف التي احاطت بركاب السفينة حين وقعت الحادثة و اضطر أحدكم أن يتم القاءه منها (حسب القصة المروية من خارج القرءان و التي يزعم انها تكمل قصة القرءان) هذه العاصفة و الخوف الذي احاط بكم و الرعب من الموت الذي حشا قلوبكم , قد يكون أثّر على رؤية ركاب السفينة فتوهموا أنهم رأوا حوتا يبتلعك و لكنه لم يكن أكثر من وهم سببه الخوف و الرعب, و معلوم أن شهادة مثل هذا لا تقبل اليوم في المحاكم في القضايا الصغيرة فضلا عن اثبات "دعوى النبوة" !! و قد نتنزل قليلا فنقول ليونس: لعل ركاب السفينة فعلا رأوا حوتا يقترب منك و يفتح فاه و لكن مع كثر الأمواج و العواصف توهموا أن الجوت أقفل فمه و أنت فيه و لكنك كنت خارجه. و قد نتنزل أكثر فنقول ليونس: لعل الحوت فعلا وضعك في فمه و لكن حلقه الضيق (و معلوم أن الحوت الأزرق الكبير له حلق ضيق) كان مملوءا بالسمك, اذ الحيتان تبتلع كميات كبيرة جدا من السمك بدون أن تمضغها, فلعله فتح فاه بعد أن ابتلع كميات كبيرة من السمك فلم يستطيع أن يبتلعك أنت أيضا, و ركاب السفينة رأوه و هو يدخلك في فمه و لكنهم لم يروه و هو يقذفك من فمه لان فمه ممتلئ بالسمك. و الكثير الكثير من هذه الانتقادات التي تحيط بهذا "الاثبات" المزعوم للنبوة, تجعل الدليل اما سخيفا طفوليا, أو في أحسن الاحوال و أكثرها تفاؤلا تجعل الدليل ضعيفا جدا يكاد لا يعوّل عليه في شئ. فان كان علماء اصول الفقه و غيرهم يقولون " الدليل اذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال" و هذا في مسائل الفقه البسيطة و الصغيرة و الفرعية , فماذا عن اثبات ما يلقبونه ب "أصول الدين و العقيدة" التي يفترض فيها انها قطعية لا مجال فيها للشك. بل ان علماء اصول الدين و العقيدة يقولون – الكثير منهم- أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين, بل يجب أن يسعى كل فرد الى ادراكها بنفسه. فاذن كيف يمكن أن تثبت الحجة على قوم يونس بخبر مجموعة من البحارة – العوام الجهلة في الغالب- و الذي فضلا عن كونهم من العوام و الجهلة و أن مهنتهم هي البقاء في الشمس طويلا و معلوم ما يؤدي اليه هذا من اختلال في العقل أحيانا, و الذي فضلا عن هذا أيضا كانوا تحت ظل خوف شديد و رعب عظيم و عواصف و أمواج هائلة, أبعد كل هذا يثبت صدق خبرهم في أنهم شاهدوا ما شاهدوا !؟ "ما لكم كيف تحكمون".

فانظر للمسألة كيف شئت و لن تجد الا ظنون تتخبط في ظنون, و سخافات تعلو على سخافات, باختصار ظلمات بعضها فوق بعض. و لنكتفي بهذا.

3 تأمل مثلا في قصة مريم و عيسى. الان يدّعي الاحزاب أن مريم و عيسى القرءان هم شخصيات تاريخية التي يقال عنها "يسوع الناصري و أمه مريم " الذي تقوم عليه الديانة الملقبة بالمسيحية او النصرانية كما هي معروفة في

وسط أهل الاسلام. و أريد أن أنظر هنا في دعوى العذرية. أي ان مريم هذه عذراء – جسمانيا- و أنجبت ولدا بدون أن ينكحها رجل بجسمه كالنكاح المعروف. الان, هذا الرجل, معبود الديانة المسيحية العبراني المصلوب, يسوع أو يشوا كما هو اسمه الحقيقي بلغتهم الأم, أين توجد قصته و قصة أمه؟ كتابهم معروف و هو الملقب بالعهد الجديد, او الاناجيل الأربعة. هذا هو مرجعهم الديني.

و قبل أن أبدأ في ذكر بعض التعليقات على هذه المسألة أريد أن أنبه بعض اخواننا المسلمين الى خطأ كبير يرتكبونه على مستوى العالم. و هو هذا: انهم يزعمون ان كتب المسيحين محرفة, و أن القصة الحقيقية ليسوع و أمه عندهم هم, أي في القرءان الكريم الذي أوحي لمحمد النبي عليه السلام. و هم يصولون و يجولون في العالم و في المناظرات على هذا الأساس. أقول: تصوروا يا اخواني الأعزاء, لو أن رئيس الدين البهائي, المسمى بهاء الله و الذي يدعي أنه نبي أيضا و أنا مكمل رسالة الرسل الذي منهم محمد أيضا, تصور و افترض جدلا أن هذا الرجل جاء بكتاب يدعي انه أوحي اليه, ثم وجدتم في هذا الكتاب أنه يذكر قصة محمد و يذكر أمور تخالف قصة سيدنا محمد كما هي كتب السيرة النبوية مثلا. ماذا ستكون ردة فعلكم؟ ألن نقول للبهائيين: اخرسوا أيها التافهين! فنحن أعلم برسولنا و محور ديننا منكم و من رسولكم المزعوم, حياتنا ووجودنا كله قائم على قصة رسولنا و محور ديننا, و نحن نهتم به و نحبه و نهتم بأصغر تفاصيل حياته و نقتدي به, فمن أنتم حتى تأتوا بعد ألف سنة لتزعموا بان قصصنا محرفة أو ناقصة و تأتوا بقصة جديدة؟ و ان قلتم للبهائيين ذلك لكان معكم حق الى حد بعيد جدا. (و لا نريد أن نخوض في كيفية اثبات دعوى النبوة فقد ذكرناها في كتب أخرى و خلاصتها الاية القرءانية "سنريهم ءايتنا في الافاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" فليراجعها من يشاء).

و الان , أنتم يا اخواني الاعزاء تقومون منذ قرون بنفس هذا العمل التافه. ان المسيحين "يعبدون" يسوع, و ليس فقط يحبونه أو يؤمنون بنبوته و ما شابه. انهم يعبدونه عبادة. و يرون قصته و حياته و الايمان بها سبب لوجودهم في هذا الوجود. و هم المصدر الاساسي للقصة و الموثقين لها. هم مرجع تاريخي لها. الكتب الملقبة بالاناجيل الاربعة هي المرجع التاريخي الوحيد الموجود لقصة هذا الرجل العبراني يشوا الناصري. فان كانت هذه المراجع ضعيفة او ساقطة فقد سقط الرجل و لم يبقى ثمة متمسك لاعتبار وجوده كحقيقة تاريخية ثابته. فأنا عندما أريد أن اعرف شئ عن رجل او حادثة تاريخية فاني أذهب الى المتخصصين الذي وثقوها و دونوها, و أما اعتمادي عليها و تصديقي لها و درجة هذا التصديق و مدى امكانية بناء الافكار و العقائد عليه فهذه مسألة أخرى. فاذن –مبدئيا- الأناجيل الاربعة المسيحية هي المصدر الأساسي لمعرفة أي شئ يتعلق بشخصية يسوع و أمه و دينه. و ما يخالف هذه الكتب يجب أن يأتي ببرهان شديد القطعية ليثبت دعواه و يبرر مخالفته. و لكن مبدئيا سنعتبر ان ما تقوله هذه الاناجيل الاربعة صحيح حتى يثبت خلافه. و في البحث التاريخي لا تطمع باليقين التام. فالتاريخ كما يقول بعض كبار المؤرخين: نصفه كذب و نصفه ظن. او كما قال.

و الان, ماذا عن عذرية العذراء؟ هذه الفكرة التي أكاد أجزم أنها من أسوأ الافكار التي ابتدعها العقل البشري. ماذا تقول هذه الاناجيل عن أم يسوع؟ هل هي فعلا عذراء و أن يسوع – جسمانيا- جاء من غير والد نكح أمه؟ و

ماذا كان يعتقد أهل البلد التي سكنها يسوع في هذه المسألة؟ و هل يسوع نفسه احتج على قومه بانه مولود من عذراء و هذا يثبت أنه ابن الاله أو أن هذه "المعجزة" تعطيه حق الهي أو حجة قاطعة من أي نوع؟ تعالوا ننظر.

في الكتاب الأول من "العهد الجديد" الملقب بانجيل متى. يذكر الكاتب في البداية سلسلة نسب يسوع من الناحية الجسمانية طبعا. فيبدأ من الاب العبراني ابراهيم و يتسلسل نازلا في اولاد ابراهيم و فروعه حتى يصل الى أن يقول " و أليعازر ولد متّان, و متّأن ولد يعقوب, و يعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع المسيح". أقول : هذا أقوى الادلة على أن الكاتب نفسه يرى أن يوسف هذا هو ولد يسوع. و الا فكيف يربطه به في سلسلة النسب! انتهى الكلام!! و لكن مع ذلك فلنستمر قليلا.

في نفس الكتاب, في واقعة ميلاد يسوع المسيح يقول التالي " و أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف , قبل أن يجتمعا , وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان باراً , و لم يشأ أن يشهرها , أراد تخليتها سرّاً . و لكن فيما هو متفكر في هذه الأمور , اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا " يا يوسف ابن داود, لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابنا و تدعو اسمه يسوع. لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم ". و هكذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل " هوذا العذراء تحبل و تلد ابنا , و يدعون اسمه عمانوئيل " الذي تفسيره : الله معنا. فلما استقيظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب و أخذ امرأته. و لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. و دعا اسمه يسوع " انتهى. هذه القصة كما يكتبها متى. و في الكتاب الثالث الملقب بانجيل لوقا يذكر ان مريم بعد ان حبلت من "الروح القدس" ذهبت الى احدة قريباتها, اليصابات التي كانت زوجة الكاهن زكريا, و سنذكر شئ عنها بعد قليل, و مكثت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة اشهر.

حسنا فلنحلل هذا الكلام لنرى ما فيه. في البداية, يجب أن نتذكر أن كتب المذهب مهمتها اثبات المذهب. فمن الطبيعي أن نرى كتب دين ما فيها من الامور ما يؤدي الى اثبات مقولات هذا الدين. فلن نجد ما نطلبه من النقد عن طريق الاقتصار على ما في ظاهر النصوص. و لكن علينا أن نأخذ منها الحد الأدنى الذي تثبته و تقر به, ثم نرى بعد ذلك هل نقبل ما فوقه أم لا. أضرب مثلا للتقريب, الخلاف بين الشيعة و السنة عندنا. في مسألة ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام, اذا ذهبنا الى كتب الشيعة فسنرى ما يؤيد هذه الولاية و يثبتها بكل يقين و في ظاهر النصوص. و لكن اذا ذهبنا الى كتب السنة فلن نجد ما يؤيديها بكل يقين و في ظاهر النصوص, و لكن مع البحث و التمحيص, و النقد و الجدل, و التقاط كلمة من هنا و كلمة من هناك, و قصة من هنا و قصة من هناك, فان علماء الشيعة يستطيعوا – و قد فعلوا- أن يثبتوا ولاية علي ابن ابي طالب من كتب أهل السنة فقط. فالحد الأدنى المشترك بين الفريقين ثابت عند كلا الفرقتين, و الذي هو في هذه الحالة كون علي ابي طالب مسلم مؤمن عالم رباني و تقي و مجاهد من أكبر المجاهدين و أفضل القضاء في الدين بعد النبي و ما أشبه. فهذه مشتركة لا

يختلف عليها أحد من الشيعة و السنة. و لكن يوجد دعاوى عند الشيعة فوق هذا الحد هي ما يحتاج أن يثبتوه. و هكذا.

و ما أقصده في سياق بحثنا هذا في ولادة يسوع و أمه هو أنه من البديهي أن كتب الدين المسيحي ستذكر تسبيحات و تطويبات و مبالغات و رؤئ الهية و ملائكة تنزل و ملائكة تبشر و نبؤات تتحقق و ما أشبه. و هذا هو الحد الاعلى الذي عليهم هم أن يثبتوه بدعاوى مستقلة. و أما الحد الأدنى من القصة فهو الوقائع التالية التي أقروا بها و هم باقرارهم بها قد جعلوا لنا الحجة في استعاملها في تأييد قضيتنا بالكامل. و لنا كل السلطان و الحق في استعاملها و البناء عليها تماما حتى و ان رفضنا باقي المبالغات او الحد الأعلى من الدعاوى الأخرى.

فما هي هذه الوقائع التي أقروا بها على أنفسهم:

أولا, أن أم يسوع كانت مخطوبة و حملت بسبب اخر غير رجلها يوسف.

ثانيا, أن مريم هذه ذهبت و مكثت نحو ثلاثة اشهر في بيت قريبتها الكبيرة العجوزة بعد أن حملت.

ثالثا, أن نسب يسوع مرتبط بابراهيم و داود عن طريق يوسف زوج أمه.

رابعا, أن يوسف هذا قد فكّر في أن يتخلى عن مريم بعد أن وجدها حبلى في فترة خطوبته لها.

خامسا, أن يسوع نفسه يعرف الولادة التي تجعل الانسان ابن الله بانها الولادة الروحية و الايمان باسم الله (كما في انجيل يوحنا " و أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" و نعم هذا كلام يوحنا, و يؤيده كلام يسوع نفسه مع نيقوديموس أحد رؤساء اليهود فيقول له يسوع " ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله...ان كان أحد لا يولد من الماء و الروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد, و المولود من الروح هو روح ")

سادسا, لا يوجد في كل الاناجيل و لا مرة واحدة أن يسوع احتج بأن ولادته من عذراء هو دليل على أن له أي حق أو حجة. بل لا يوجد أي ذكر في كل الاناجيل على أن أم يسوع ذكرت أمام عامة الناس في قومها أنها ولدت من روح القدس و أن هذا دليل على اي شئ الهي فيها او في ابنها. بل لا يوجد اي ذكر في كل الاناجيل أن أحد من تلامذة يسوع أنهم مجدوا يسوع في وجهه و قالوا له " أنت المولود من العذراء" مثلا و ما شابه. بل لا يوجد حتى أن اعداء يسوع قد ذكروا مولده الجسماني باي مدح أو قدح. بل لا يوجد ان يسوع أشار حتى من طرف خفي الى أن امه عذراء ولدته من روح القدس و ما أشبه. فسبحان ربي!! كيف استمر هذا التخريف لمدة عشرين قرنا لا أدري! ان كان الرجل و أمه و زوج أمه لم يذكروا ذلك أمام الناس, ان كان الرجل نفسه لم يدعيها لنفسه, فمن أنتم أيها التافهين الأغبياء حتى تتدعوها للرجل, بل الأدهى أن تكفروا من لا يؤمن بذلك التخريف!

و اريد الان أن أقدم شهادة رجلين في هذا المقام و هو يوسف زوج أم يسوع, و شهادة زكريا الكاهن زوج اليصابات أخت مريم الكبيرة.

أما الشاهد الأول, يوسف, فها هي شهادته قد نقلها الكتاب الأول " فيوسف رجلها اذ كان بارا و لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا. و لكن فيما هو متفكر في هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم". فاذن يوسف في بادئ الرأي قد اتهم مريم بانها رجل اخر –طبيعي!– قد جامعها, و حملت بسببه, اي انها زنت في عرفهم. و لذلك أراد أن يتركها و يفسخ خطوبته لها. و أشير اشارة سريعة في الرد على تلفيق يحاول ان يمرره بعض المسيحيين الذين يرفضون قصة الولادة العذرية هذه, فيقولون أن الخطبة في العرف اليهودي في ذلك الزمان كانت تجيز للرجل أن يجامع خطيبته, و كأن هؤلاء التلفيقيين يريدون أن يقولوا ان يوسف هو الذي جامع مريم لتحمل بيسوع. و لكن الكتاب يقول بكل وضوح ان مريم وجدت حبلى من يوسف "قبل أن يجتمعا". و لو كان يوسف هذا هو الذي جامعها لما فكر في تركها. نعود الى بحثنا. فاذن, أول من اتهم مريم هذه بانها جامعت رجل اخر و هو الذي جعلها تحمل, هو خطيبها يوسف.

و من الطريف في الموضوع هو الرؤيا التي رأها يوسف. لا أظن أنه يوجد مثال أفضل لاثبات نظرية ان "الاحلام تحقيق لرغبات" من هذا المثال. فهو رغب في أن يتخلص من هذه الورطة, فان سمعته هو ذاته سوف تتأثر ان اكتشف الناس ان خطيبته حملت من رجل غيره, و لا يحتاج الأمر الى فزياء نووية للتفهم هذا أيها القارئ, القارئ الشرقي العربي خاصة, فتصور أنك أنت خطبت امراة و عرف كل الناس أنك خطيبها ثم اكتشفت أنت انها حامل, و عندها تستطيع أن تنال شيئا من الادراك للورطة و الشعور الكئيب الذي احاط بيوسف خطيب مريم هذه. و الكتاب يقول انه "فيما هو متفكر في هذه الأمور" نام و هو يفكر في هذه الورطة, و معلوم بالتجربة الجمعية للناس أن التفكير في شئ كثيرا, خاصة لو كان مهما جدا, قبل النوم ثم النوم و أنت مستغرق في التفكير غالبا ما يجعلك ترى حلما له علاقة بما كنت تفكر فيه. فليس من الغريب أبدا أن يرى يوسف مناما يخرجه من ورطته. ففضلا عن الفضيحة التي ستنال يوسف نفسه, فانه يبدو كما يقول الكتاب أنه كان رجلا لطيفا طيبا متدينا محترما, فلم يشأ ان "يشهرها" أن يشهر بها, أي يشهر بمريم في الناس في أنها حبلى من "الروح القدس" او ان يتركها فيعرف الناس السبب, و هذا في عرفنا العربي نقول عنه أنه "ستر عليها".

و هنا نقطة شديدة الأهمة و لم يلتفت اليها السذج من الدارسين. و هي أن في ضمن هذه القصة و هذا المقطع خصوصا اعتراف ضمني و اقرار ضمني بأن قصة الولادة من الروح القدس و العذرية لم ينشرها يوسف أو مريم أو يسوع في قومهم. تأمل هذا جيدا. لو كانوا نشروها فلماذا لم ينشروها من البداية ؟ و بالرغم من ان الاناجيل لا تحوي اي ذكر عن هذا النشر كما قلنا سابقا, و تستطيع أن تقرأها بنفسك لترى, فان هذا المقطع فيه اقرار ضمني اخر, و هو اقرار قوي جدا لمن تأمل.

لو كان يوسف يرى فعلا أن رؤاه هذه حقيقية – هذا ان كان رأى ما تقوله الكتب أصلا- فلماذا لم يخرج على الناس و يقول لهم : مريم خطيبتي حبلى من الروح القدس و قد رأيت رؤيا جاءني فيها ملاك الرب و أخبرني بذلك. ؟ لا يوجد شئ من هذا القبيل كما هو معلوم.

و هنا نسأل أنصار نظرية العذرية هذه سؤالا مفصليا: أي فائدة في ان يعمل الله "معجزة" لا يعلنها أصحابها أمام الناس؟

يوجد فرق كبير بين ما يقوله يسوع و أمه و تلامذته و اعداءه, اي الشخصيات التي في القصة, و بين ما يقوله كاتب القصة من تعليقات و تفسيرات. و هذا فرق مهم جدا جدا. اي يوجد فرق كبير جدا, شاسع الى ابعد مدى, بين الحوادث, و بين تعليقات ناقل الحوادث. فمن حيث الحوادث لا نرى في الكتب الاربعة كلها أن يسوع أو أمه أو يوسف- لا صراحة و لا ضمنا- قد ذكروا شيئا عن الولادة العذرية المزعومة هذه. بل كل الموجود هو عكسها تماما. ففضلا عن الذي نقلناه قبل قليل. فان الكتب تنقل أن القوم الذي كان يسوع يعيش بينهم كانوا يعرفونه على انه "يسوع بن يوسف". و هذا دليل اخر على انه كان معروفا بين القوم على أنه يسوع بن يوسف ليس الا.

و أما الشهادة الثانية فهي لزكريا الكاهن زوج الياصبات نسيبة مريم. فزوجة هذا الكاهن كانت عاقرا كما جاء في انجيل لوقا, و كان كلاهما متقدم في العمر. و بعد أن بشرته الملائكة بان زوجته ستحمل, قال زكريا للملاك جبرائيل " كيف أعلم هذا , لأني أنا شيخ و امرأتي متقدمة في أيامها ؟" فرد الملاك عليه بكلام فيه " و ها انت تكون صامتا و لا تقدر أن تتكلم, الى اليوم الذي يكون فيه هذا – اي ولادة ابنه- لأنك لم تصدق كلامي" انتهى.

أقول : لاحظ أن زكريا لم يقل أن امرأته كانت عاقرا, و انما قال أنها عاقر كاتب القصة لوقا. و هنا نلاحظ أهمية التفريق بين رأي الكاتب و تكهناته, و بين ما تنقله القصة ذاتها. (مع العلم أنه في كثير من الاحيان يختلط الأمرين فتأمل). فزكريا لم يقل أكثر من أنه و امرأته متقدمين في العمر. و ليس بالضرورة أن أحدهما عقيم أو عاقر. و لاحظ أن الكتاب لم يذكر كم كان عمر زكريا و لا عمر زوجته اليصابات, و بالتالي عبارة "متقدم في العمر" عبارة مطاطة لا يضبطها النص. و على ذلك يكون المجال واسع للتكهن بكم كان عمر زوجته حين حملت منه. فالرجل عموما يمكن ان ينجب ابناء حتى سن متأخر, و أما المرأة فحتى لو "تقدمت في العمر " فيمكن أن تحمل أيضا كما هو مشاهد في يومنا هذا و ليس هذا مما يحتاج الى بشارات ملكوتية و ما أشبه لمعرفته أو لاثبات امكانية حدوثه.

و لاحظ – و هنا محل الشاهد- أن زكريا الكاهن الذي تأتيه الملائكة, لم يصدق ما قاله الملاك له من حمل زوجته في سن متقدمة. قال الملاك له " لأنك لم تصدق كلامي". و هنا أقول: ان كان زكريا الذي يخاطبه كبير الملائكة جبرائيل لم يصدق بامكانية أن تحبل زوجته منه فقط لانه شيخ و هي متقدمة في العمر, فأنى لعامي او عالم بسيط ساذج تافه لم تكلمة الملائكة بل و لعل الشياطين تترفع عن التكلم معه, أن يزعم أنه يؤمن و يصدق و يوقن يقينا تاما بأن فتاة حبلت من غير رجل أصلا!! أروني من منكم أيها الرجال "المؤمنين" سيصدق ابنته او اخته العذراء اذا رجع الى البيت فوجدها حامل و قالت له انه "من الروح القدس" سيصدقها, و بعد ذلك تعالوا لنسمع عقائدكم المضحكة.

و يعجبني التبرير الذي يذكره كتاب لوقا, فهو يقول بأن ملاك جاء الى مريم بعد ان بشرها بأنها ستحمل, فقال لها " هوذا اليصابات نسبيتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها, و هذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا. لانه ليس شئ غير ممكن لدى الله " فصدقت مريم بقوله و سكنت. أقول : اني اكتب هذا الكلام و أنا اضحك و بطني ترقص من الضحك بسبب هذا الكلام العجيب.

أولا, هذا قياس مع الفارق أيها الملاك الكريم. قياس مع الفارق الكبير جدا. و ان كان يوجد ملاك فعلا قال هذا الكلام فأظن أن الملائكة تحتاج الى دروس في المنطق. اليصابات امراة لها رجل ينكحها, و معلوم عندنا حتى اليوم و في كل زمان أن المراة حتى لو كبرت و شاخت فانه يوجد احتمال أن تحمل و ليس في هذا شئ يصعب على التصديق. يوجد امراة اسمها راجو لوهان انجبت ولدا و هي في السبعين من عمرها, و يوجد فتاة اسمها لينا مدينا انجبت ولدا و عمرها خمس سنوات ! و هذه حقائق مثبتة , و ما عليك الا أن تكتب هذين الاسمين في الانترنت و سيظهر لك ذلك. فلا يوجد شئ يصعب على التصديق من هذه الناحية. و أما أن تأتي فتاة و تقول – أو يقال عنها- ان روح القدس هو الذي "اظلها" فهذه مسألة أخرى تماما تماما.

و ثانيا, استدلال هذا الملاك المزعوم بأنه " ليس شئ غير ممكن لدى الله " هو استدلال العاجز كما قلنا. و لكن اللطيف في الأمر أن هذه القصة يمكن ان تصبح سلاحا في يد كل فتاة أو امراة تحمل في مجتماعتنا الشرقية المتعصبة حول الجماع خارج الزواج الشرعي. فكل ما عليها ان تقول اذا حملت " لقد أكلت بالأمس بيضة مسلوقة, و أصبحت حاملا بقدرة الله " فاذا هاجمها ابوها أو اخوها أو مجتمعها فكل ما عليها أن تقوله هو "ليس شئ غير ممكن لدى الله, و الله على كل شئ قدير". و لماذا نتوقف هنا, طالما كل احد يستطيع أن يزعم ما يشاء و يحيل على قدرة الله, فالمجال واسع و مفتوح جدا, و قدرة الله لا نهاية لها, فافعل ما تشاء, و قل ما تشاء, و ادعي ما تشاء مما يخالف "سنن الله" في الخلق, ثم قل " ليس شئ غير ممكن لدى الله". مهزلة فعلا!

فمن يتأمل في كل ما سبق, على الأغلب سيصل معي الاستنتاج التالي: يوجد رجل جامع مريم و هي مخطوبة ليوسف, و مريم هذه كانت ساذجة و غبية بحيث ان الرجل ضحك عليها و اقنعها بانه ملاك أو انها هي اختلقت قصة الملاك هذه لتبرر نفسها امام خطيبها, فاقتنع خطيبها بقصتها المختلقة هذه عن الملاك فرأى في منامه ما يؤيد هذه القصة و تحققت رغبته في الخروج من الورطة امام نفسه على الاقل, و أبقى يوسف و مريم هذه القصة سرا داخل العائلة فقط (يظهر ان اليصابات وحدها هي التي تعرف عن حمل مريم بدون رجل او لعل مريم اخبرتها ان يوسف هو الذي جامعها). فاذن لا عذراء و لا يحزنون. فضلا عن ان الكتاب الأول يقول ان يوسف "لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" و يعرفها يعني يجامعها بلغة هذا الكتاب. فبمفهوم المخالفة , يكون يوسف قد "عرفها" اي جامعها بعد ان ولدت ابنها البكر يسوع. و وجود قيد "البكر" يوحي بأنه كانت لها أولاد اخرين أيضا. فاذن لا عذراء في البداية و لا عذراء في النهاية. فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !

و الولادة التي يقصدها يسوع هي الولادة الروحية و الايمان كما يشرحه هو. و لا علاقة للجسد بالموضوع. فنعم, ان كان يسوع قد قال انه ابن الاله و ليس له اب, فانما يقصد انه يأخذ علمه و روحه من الاله الرب وحده, و ليس من الارض و افكار البشر. و لذلك كان يكرر " لا تتخذوا لكم ابا في الارض" و ما اشبه. و بحث افكار يسوع و تحليلها ليس هذا محله. و لكن من يعرفون هذه الامور يدركون ما اقول. فنكتفي بهذا.

و هذا كل شئ عندني فيما يتعلق بخرافة مريم العذراء هذه.

و الان, تصور أن يأتي ملعون جاهل, و يلصق قصة هذه المراة بالقرءان الكريم. هل تعرفون كيف سيكفر الكثير من المسلمين بهذا الدين العظيم؟ هو لان رؤساء الاحزاب و الفرق الاسلامية هذه قد ربطوا القرءان و قصصه و احكامه بافكار هاوية, ساقطة, غبية, و عاجلا ام اجلا ستقع هذه الافكار و تتحطم في الارض, و عندها سيسقط القرءان ايضا معها, لانهم ربطوه بهذه الافكار بعروة وثقى لا تنفصم. و هلاك المتبوع هلاك للتابع أيضا. و قد بدأ هذا الأمر فعلا. و بصراحة رأي في هؤلاء الذين يتركون دين الله لاسباب كالتي ذكرتها هو هذا: أنت أذكياء و أقوياء فعلا, و أنا أحترمكم. ففعلا الغبي الجاهل وحده من يبقى في مثل هذا الدين. و أقول لمن يشوهون القرءان العظيم بمثل فكرة التاريخ هذه : "سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

فطهروا القرءان من هذه الأصنام التي أحاطت به. طهروا بيت الله للدارسين و المتأملين و العاملين لوجه الله و بعلم. كونوا ابراهيميين. و حسبنا الله و نعم الوكيل.

4 قد يقول البعض : هل محمد شخص تاريخي؟ و ان كان كذلك فماذا يمنع أن يكون بقية شخصيات القرءان ايضا شخصيات تاريخية؟ و ان لم يكن شخص تاريخي فمن الذي جاء بهذا القرءان العربي؟

هذا هو احسن سؤال يمكن أن يطرح في هذا المجال. و الاجابة عنه مهمة جدا, و تحتاج الى شئ من التفصيل. و بالرغم من ان كثير من القواعد التي ستكون اجابتي مبنية عليها قد فصلتها و استدللت عليها في كتب أخرى, و في هذا الكتاب أيضا في القسم الأول الذي يثبت بكل يقينية أن القرءان لا يقدم نفسه على أنه كتاب تاريخي, كله بدون استثناء, و لذلك لك اذكر براهين تفصيلية لما أكون قد ذكرته من قبل, و أكتفي بالاشارة. فكل كتبي مرتبطة مع بعضها البعض, و لذلك لا يمكن نشرها الا كوحدة واحدة. فمن لا يقرأها كلها لا يفهمها كلها. فتعالوا الان ننظر في هذا السؤال.

سأضرب مثلا يبين المعنى الحقيقي لاعتبار قصص القرءان أحداث تاريخية أو "اساطير الاولين" بتعبير القرءان الدقيق. تصور لو اننا اخترعنا آلة زمنية, آلة نستطيع ان نسجّل فيها أي تاريخ نريده و أي مكان نريده فندخل داخل الالة و نضغط على زر التشغيل فتأخذنا هذه الآلة مباشرة الى الزمان و المكان الذي كتبناه فيها. فمثلا, اذا كتبنا فيها (11 سبتمبر ميلادية2001 - الولايات المتحدة الامريكية, نيويورك) فانها ستاخذنا مباشرة الى

هناك, و سنشهد حادثة تفجير مبنى التجارة العالمي. أو نكتب فيها (21 رمضان 40 هجرية – العراق, الكوفة) فتاخذنا مباشرة الى هناك و نشهد مقتل الامام علي بن ابي طالب عليه السلام. و هكذا. و الان فلنفترض ان هذه الآلة العجيبة موجودة فعلا و عندها هذه القدرة التي ذكرناها. و هذا هو القرءان الكريم, خذه وحده فقط, و لنرجع الى زمن محمد, ماذا سنكتب في الآلة؟

أما الزمان فلا تاريخ في القرءان لا عن محمد و لا عن غيره كما سبق أن بينا و سنكررها ألف مرة حتى تنغرس في قلوب الكل. و أما المكان, ففضلا عن أنه لا فائدة من تحديد المكان بدون تحديد الزمان, فمع ذلك ماذا سنكتب في خانة المكان في آلة الزمن العجيبة؟ لعلك تستشهد باية " و من أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم" فتقول : سنكتب المدينة. أقول: ان الجهاز لن يفهم هذا الاسم لانه سيرد عليك و يقول: ان يوسف أيضا كان في "المدينة" (و قال نسوة في المدينة), و موسى أيضا كان في "المدينة" (و دخل المدينة على حين غفلة من أهلها), فأي مدينة تريد أيها المسافر؟! و لا جواب طبعا.

لا أظن أنه يوجد بيان لهذه المسألة أوضح أو أفصح مما بينت, و أحسب أن المسألة باتت واضحة للجميع, حتى الأطفال.

فلا محمد و لا غير محمد, كل أسماء القرءان أمثال و رموز سماوية. و تجلياتها في الارض في الازمنة و الأمكنة المختلفة هو مسألة أخرى. نعم, قد يتجلى مثال محمد في الأرض في سنة كذا في موضع كذا, و قد يتجلى في نفس السنة و لكن في موضع اخر, فالمثال السماوي واحد و تجلياته في الارض يمكن أن تكون متعددة و يمكن أن تكون في شخص أقوى منها في شخص.

العوالم متعددة و متسلسلة من الأعلى الى الأدنى. اجمالا, يوجد أربعة عوالم : العرش, السماوات, الأنفس, الافاق. العالم الأول هو عالم الأسماء الحسنى, و العالم الثاني هو محل الملائكة و الامثال النورانية (كالأنبياء) , و العالم الثالث هو عالم الأنفس الانسانية, و العالم الرابع هو عالم الطبيعة الأرضية اي أسفل سافلين. و هذه العوالم الاربعة هي التي دلت عليها الاية العظيمة التي تقول "سنريهم ءايتنا في الافاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد" و هذه الاية ذكرت العوالم من الأدنى الى الأعلى. فبدأت من الافاق, ثم الانفس, ثم الحق, ثم الله.

و من القواعد التي قامت عليها العوالم هي هذه: العالم الأعلى يؤثر في العالم الأدنى. و لا يظهر شئ في العالم الأدنى الا ان كان مثاله متحقق من قبل ذلك في العالم الأعلى و أن الى ربك المنتهى. كل شئ يبدأ في الظهور من الله الى السموات الى الانفس الى الافاق. الامداد بحسب الاستعداد.

و في ضوء هذه القواعد الحقيقية العظمى التي تحكم الوجود كله, و على أساسها تم بناء عوالم الخلق, يمكن أن تنكشف الكثير جدا من العلوم و الأسرار, و يمكن بها أن نفهم الكثير من الايات و الاخبار. فتأملها جيدا و احفظها لعل حقائقها تترسخ فيك, فانه لا يمكن ان يصل انسان الى مقام الرسوخ في العلم بدون أن يحيط علما بهذه القواعد و فروعها.

و الان, عندما يذكر القرءان ادم و ابرهيم و عيسى و محمد و غيرهم, فانما يذكر أمثال في السماوات. و هم أول مظاهر للأسماء الحسنى في عوالم الخلق. و هذه الأسماء النبوية (التي هي ظل للأسماء الحسنى, و التي هي ظل للنفس الالهية) هي الفاعل في الأنفس الانسانية. و الانفس مجرد قابل لها أو لبعضها. فكل اسم نبوي له صفات معينة تختلف عن الاسم الاخر و بهذا الاختلاف وقع التمايز بينهما كما وقع التمايز بين اسم الله العزيز و اسم الله العليم مثلا. و كل اسم نبوي له خصائص معينة معدودة, فان ظهرت و تجلت هذه الخصائص كلها في قابل انساني من عالم الأنفس, فان هذا القابل يعتبر المظهر الكامل لذاك المثال النبوي. فمثلا, ان افترضنا أن لاسم ابراهيم السماوي, خمسة صفات أو علوم أو خصائص. ثم في زمن من الأزمان, في مكان ما على الارض, وجد انسان امتلكت نفسه الاستعداد لتقبّل هذه الصفات الابراهيمية كلها, و معلوم ان الامداد بحسب الاستعداد, فان هذا الانسان و لنفرض انه رجل فرنسي اسمه "جاك" يعيش في القرن السابع عشر الميلادي في فرنسا في باريس, فان هذا الرجل "جاك" في عين الله يعتبر "ابراهيم" و ليس جاك و لا يحزنون. اسمه الحقيقي هو ابراهيم. فالاسم عند الله يعبر عن الحقيقية و ليس مجرد تعبير مجازي أو لقب اجتماعي أخرق لا معنى له و لا يدل على الذات. الاسم عند الله يدل على الذات. فمن كانت ذاته ابراهيمية فهو "ابراهيم". بمعنى أنه القابل لنور ابراهيم كمثال سماوي. و لا يعنى هذا أنه لا يمكن لانسان اخر في نفس القرن السابع عشر أن يكون أيضا قابل لنور ابراهيم. فالنور لا يحتكر و لا يمكن احتكاره. كل قابل سيجد فاعل. كمثل ضوء الشمس, هو ضوء واحد و لكن ينتفع به كل الناس و الحيوانات و النباتات, كل واحد بحسب استعداده و قابليته للانتفاع بضوء الشمس, فالشمس لا تتغير من اجل القابل, و لا القابل يستطيع أن يحتكر الشمس, و لكن كل يأخذ بحسب استعداده. "أنزل من السماء ماءا فسالت أودية بقدرها" فالاودية تسيل بقدر الاودية ذاتها و قابليتها, و ليس بقدر كمية الماء النازلة من السماء. فتأمل.

فعندما نسأل: هل وجد محمد في التاريخ؟ الجواب يكون: يمكن أن يكون قد وجد فعلا, و عند أهل الاسلام فان التجلي الكامل للحقيقة المحمدية السماوية (اي مثال محمد) قد ظهر في شخص سيدنا محمد بن عبد الله عليه السلام التاريخي الذي عاش قبل أربعة عشر قرنا في شبه الجزيرة العربية. فنحن لسنا ضد تمثل الأسماء النبوية في التاريخ او اليوم أو بعد ألف سنة, نحن ضد أن يقال أن هذه الاسماء ليست الا شخصيات تاريخية. و الفرق كبير جدا, كالفرق بين السماء و الأرض. و لكن قرءانيا, نحن لا يهمنا كأصل التجليات الأرضية للأسماء النبوية بقدر اهتمامنا بمعرفة الأسماء النبوية ذاتها, و كيفية جعل نفوسنا تستعد لتستقبل امدادها و أنوارها. و هذا القرءان العربي الكريم قد تنزل على سيدنا محمد بن عبد الله الذي هو التجلي الأعظم للحقيقة المحمدية كما ذكرت. و من شأن و خصائص الحقيقة المحمدية (مثال محمد) أن يكشف عن حقائق الوجود كلها في كتاب جامع. و هذا ما حصل بمولانا محمد عليه السلام, و بهذا القرءان العظيم. و محمد التاريخي ثابت من حيث الوجود و العمل و الخصائص و

الأقوال و الأفعال و السيره في الكتب التاريخيه الزمنيه للمسلمين ، أي الأحدايث النبويه و ما تلاها . فالقرءآن فوق الزمان و المكان ، و أما الأحاديث النبويه ففي المكان و الزمان ، أي القصص خصوصا . فمحمد القرءآني مثل ، و محمد الروائي تاريخ . و أما ما استعمله القرءآن في ضرب أمثاله فهو للعقلاء العلماء ، بغض النظر عن الصوره و إنما الأصل هو التأويل لتحصيل المعنى .

فتجلي الأمثال في التاريخ لا يعني أن المجالي عين الأمثال. بل تبقى الأمثال و يهلك المجلى و يموت و يفنى, و أما الامثال فتبقى ما بقي الدهر , و سنت الله لن تجد لها تبديلا و لا تحويلا.

و المثال واحد و لكن ظهوراته قد تتعدد, و قد يكون بعض الظهورات أكمل من بعض. و لكن الانسان الذي يظهر فيه المثال بكل خصائصه, فهذا يستحق أن يسمى باسم المثال. و أما ان ظهرت فيه بعض خصائصه فانه لا يستحق ذلك تمام الاستحقاق. فمولانا محمد عليه السلام, سمّي "محمد" لانه الظهور التام لكل خصائص مثال محمد. و اما كون كل الأمثال السماوية قد ظهرت بظهور تام في زمن ما, فهذه مسألة تحتاج الى بحث خاص. و ان كان مولانا محمد قد ظهرت فيه كل الامثال و الأسماء النبوية, لان من شأن مثال محمد ان يكون المرحلة الأخيرة و الطور الأعلى لكل الأسماء النبوية. فوصوله الى مقام "محمد" يعني بالضرورة أنه قد مر بطور ادم و أكمله, ثم بطور نوح و أكمله, ثم بطور ابرهيم و اكمله, و هكذا تقلّب في كل الساجدين, و تحقق بكل مقامات الأنبياء و المرسلين, حتى بلغ المقام الأعلى, مقام قاب قوسين أو أدنى. فكان ما كان من مقامه الخاتم الشريف.

الزعم بأنه يوجد نفس "ابرهيم" في الارض و لكن بدون وجود مثال "ابرهيم " في السماء من قبل ذلك, هو خرق لتسلسل العوالم , و لا يزعم ذلك الا جاهل بالحكمة و الحقائق و الوقائع. و قل مثل ذلك في بقية الأسماء النبوية.

و الان تستطيع أن تدرك مقدار الجرم الذي يحتوي عليه الزعم بان قصص القرءان أساطير الاولين, أو ان هذه الاسماء النبوية هي مجرد شخصيات تاريخية خرجت من رحم العدم في يوم ما في أرض ما, ثم توفاها الله و ماتت, و نعم قد يوجد نوع من التواصل بين النبي الميت و الناس أو لا يوجد هذا التواصل على اختلاف بين الاحزاب في هذه المسألة.

اغفال حقيقة الأمثال النبوية كما شرحها القرءان و بينتها قبل قليل, هو القتل الحقيقي للأنبياء. لماذا؟ لانه لن يوجد بين الناس من سيملك الاستعداد ليكون قابلا لنور الانبياء, و بالتالي لن يوجد نور للأنبياء متمثل في الأرض, و هذا هو قتلهم.

تصور لو أن رجلا جاء اليك و قال لك " يا أخي, ما رأيك أن أدلك على طريق يجعلك تكون السلطان سليمان القانوني العثماني ؟" لا شك أنك ستودع صاحبك هذا في مستشفى المجانين. لان سليمان القانوني شخصية تاريخية وجدت و ماتت و لا يمكن أن يتكرر ظهورها في هذا العالم مرة أخرى أبدا كما لا يمكن أن يولد اثنين لهما نفس بصمة الاصبع. و بالتالي, شخصية سليمان القانوني انعدمت بعد موتها من هذا العالم. قتلت الى الأبد. هذا معنى الاعتقاد بأن الأنبياء هم في الأصل شخصيات تاريخية, مهما قيل بعد ذلك من اتصالهم الروحي بالناس او عدم اتصالهم, امكان التوسل بهم الى الله أو عدم امكان ذلك أو مشروعيته, امكانية الاستغاثة بهم او عدم امكانية ذلك. كل هذه تصبح مسائل لا قيمة لها في الحقيقية. فعندما تقول لأحد ممن يعتقد بان القرءان اساطير الاولين "يا اخي, ما رأيتك أن أدلك على طريق يجعلك تكون موسى؟ " فانه سياخذك أيضا الى مستشفى المجانين, بجانب ذلك الذي أراد أن يجعلك سليمان القانوني. لان سليمان القانوني و موسى كلاهما شخصية تاريخية بشرية وجدت من العدم ثم ماتت و لا يمكن أن تتمثل في الأرض مرة أخرى. نعم قد يوجد تشابه في بعض الصفات و لكن هذا مجرد "تشابه" و ليس "تمثل أو تجلي أو ظهور أو تنزل" و الفرق كبير.

و لكن تصور ان رجلا قال لك " يا اخي, ما رأيك أن ادلك على طريق يجعلك دكتور في علم القانون ؟ " فأنت اما أن تقبل قوله و تشكره ان كان عندك استعداد و رغبة لتقبل علم القانون, أو أن تعتذر منه و تقول له أنك لا ترغب في ذلك لان ترغب في ان تصبح طبيب أسنان مثلا. و لكنك لن تتهمه بالجنون أو بالسحر أو بالخبل و بالتاكيد لن تسعى لايداعه في مستشفى المجانين. لان "الدكتور" مثال في السلك التعليمي, هو رتبة أو درجة في هذا السلك, هو اسم اكاديمي, يمكن أن يتجلى في أكثر من شخص بدون أن ينتقص ذلك من اسم "الدكتور" شئ, فقد يوجد سبعين ألف دكتور في القانون بدون أن يؤثر ذلك في الاسم الاكاديمي بحد ذاته, و بدون أن يحتكر أحد من هؤلاء الناس اسم "الدكتور" و يزعم أنه لا ينطبق الا عليه, و بالتأكيد بدون أن يزعم أحد أن "الدكتور" وجد مرة واحدة في الحياة و انعدم بعدها و ولى الى غير رجعة.

و هذه مجرد تشبيهات لتقريب الفكرة العالية. و أرجو أن تكون المسألة قد باتت واضحة للكل.

فالأسماء النبوية القرءانية أقرب الى الأسماء الاكاديمية. و لا علاقة لها بالشخصيات التاريخية في الأصل.

فاذن الاجابة عن السؤال الذي بدأنا به هذه الفقرة هو التالي :

"محمد" مثال في السماوات مثله مثل بقية الأسماء النبوية. و له – كما لباقي الأسماء– تجليات و ظهورات في عالم الأنفس الانسانية و في عالم الافاق. و في اعتقادنا نحن المسلمون أن مولانا محمد بن عبد الله عليه السلام الذي ظهر قبل أربعة عشر قرنا هو تجلي كامل و ظهورتام لمثال محمد السماوي و هو الذي جاء بهذا القرءان العربي. فمحمد التاريخي هو أحد تمثلات محمد السماوي, و ان كان في اعتقادنا انه تمثل كامل. و نعتقد ذلك لان كشفه كشف كامل. و انما الأنبياء انوار, فالنفس الانسانية التي تكشف أكثر فان تمثلها و مجلاها أكمل.

و الحمد لله رب العالمين.